2. أما في العهد الإسلامي فإن نظام الحسبة هو نظام للإرشاد والتوجيه في أغلب نواحيه الشكلية والجوهرية ، فهو نظام وفن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومساعدة الناس على إكتساب ماينفعهم ويحميهم من الفساد والظلال بل ويمكن القول أن الإسلام كدين هو بحد ذاته نظام إرشاد وتوجيه ، فقدة جاء في قوله تعالى : ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المخلصون) (سورة آل عمران 104) ، والحسبة في الإسلام عملية تعليم وتعلم إجتماعي يتم في مواقف مواجهة بين شخص متخصص في موضوعات الشرع والأمر والنهي والإصلاح ويسمى (المحتسب) وشخص يطلب الحسبة وهو (المحتسب عليه) وتنشأ بينهما علاقة إنسانية مهنية فيها مناقشة أمور وتوصيات أو أفعال يروم أحد الإحتساب فيها وهي (المحتسب فيه) . وللحسبة في الإسلام أُسس فقهية تعتمد على نصوص من آيات وأحاديث وسنة نبوية وجميعها تعتمد على الرفق واللين والرضا وتجنب التسلط والقهر والتحقير وتحاول خلق القناعة والرغبة والدافعية والإرادة لعمل المعروف وترك المنكر .

ولنظام الحسبة شروط وقواعد معينة لممارستها ، فالشروط تتطلب من المحتسب أن يجمع بين التخصص العلمي بأمور الشريعة والفقه والإستعداد الشخصي والرغبة في العمل ويلتزم بالإسلام قصداً وقولاً وعملاً ويحمل صفات من الذكاء والصبر والنضوج والإهتمام بأمور الناس وتحمل وتقبل أخطائهم والتمسك بمصالحهم والتصدي للحسبة بالعلم والأمانة والتقوى والرفق واللين والعدل ويمكن حصر القواعد العامة للحسبة في الإسلام بما يلي :

أ. قاعدة حسن النية وطلب مرضاة الله . (إنما الأعمال بالنيات ولكل إمرىءٍ مانوى) .

ب. قاعدة الإستقامة (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) سورة الأحقاف 13 .

ج. قاعدة العلم والخبرة (فإسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون) سورة النحل 150 .

د. قاعدة الرفق واللين (إدعو إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) سورة النمل 125.

هـ. حسن الخلق (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً) حديث نبوي .

و. قاعدة الأمانة في إرشاد وحفظ الأسرار (من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والأخرة) حديث .

ز. قاعدة تحصيل المصالح ودفع المفاسد (ياأيها الذين آمنو أوفوا بالعقود) (أي العهود).

وقد إستمر نظام الحسبة حتى نهاية الدولة العثمانية (الإمام وعبد الرحمن ،1991 : 9-10).

3. نشأة وتطور الإرشاد في العصر الحديث

إن نمو الإرشاد النفسي كان إستجابةً لما حدث في القرن التاسع عشر من ظروف إقتصادية وإجتماعية ، وماترتب عليها من مشكلات ، فكانت الدعوة إلى الإصلاح الإجتماعي ، إذ أن نمو المدن في القرن التاسع عشر ، والثورة الصناعية وماترتب عليها من إحلال الآلة محل العامل إلى إستغلال أصحاب العمل للعمال وإلى عدم المساواة الإجتماعية والإقتصادية ، فأثارت مظاهر الفقر والظلم والفساد ، ذعر الأميركيين وجعلتهم يحللون أسلوب الحياة الأميركية ويوجهون إليه النقد الشديد ، مما أدى إلى البحث عن علاج للعيوب الإجتماعية التي نتجت عن تحول المجتمع الأميركي إلى مجتمع صناعي ، وأدى ذلك إلى إهتمام الكثير من المؤسسات الرسمية والأهلية بالمساعدة في ذلك ، لكن المصلحين لم يقفو عند ذلك الحد بل نادوا بإستئصال الأسباب الحقيقية للفقر والجهل والجريمة ، وتحقق المصلحون من أن المجتمع يتحمل جزءاً من المسؤولية عن هذه الظروف الإجتماعية السيئة ، ومن ثم كان الإهتمام بتحسين الظروف الإجتماعية وإيجاد فرص للعمل وتحسين ظروف العمل والتعليم ، وأدى ذلك الإعتقاد بإمكانية إصلاح وتحسين المجتمع بالنظر إلى المدارس بإعتبارها مكاناً مهماً يمكن أن تبدأ فيه الجهود الوقائية ، وربما كان هذا المناخ الذي أوجدته حركة الإصلاح ، والذي نادى فيه المصلحون بإستئصال عدم المساواة قد ساهم في نشأة الإرشاد النفسي.

لقد تظافرت عوامل متعددة في نشأة وتطور الإرشاد النفسي ، أهمها :

أ. **حركة التوجيه المهني** Vocational Guidance

ظهرت حركة التوجيه المهني بعد الثورة الصناعية التي تطورت في القرن التاسع عشر وأدت إلى إنتشار المصانع وإختفاء الصناعات الصغيرة ، وأدى ذلك إلى تعطل العمال ، وإنتشار الفقر والمرض ، وظهرت الدعوة إلى الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي ، وجاءت بعد ذلك جهود (فرانك بارسونز) في تدريب الشباب على فهم إستعداداتهم وميولهم ومساعدتهم على إختيار المهن الملائمة لهم ، وأنشأ (بارسونز) المكتب المهني في بوسطن عام 1908 لمساعدة الأفراد على تحسين تكيفهم المهني ، في مرحلة مابعد المرحلة الثانوية ، وفي عام 1909 أصدر كتابه (إختيار مهنة Choosing a Vocation) ، الذي رشحه لِلقب (أبو التوجيه المهني) ، وفي عام 1910 صدرت أول مجلة في التوجيه المهني وإنتشرت حركة التوجيه المهني ، وتمثل هذه الحركة الأساس المهني الأول للإرشاد النفسي الذي تطور بعد ذلك وأصبح علماً تطبيقياً ومهنة مستقلة (مشاقبة ، 2008 : 28-29) ، وفي الثلاثينات جذب التوجيه والإرشاد أنظار رجال

الإقتصاد بسبب تطور الآلات والتخصص المهني ، ومشكلات وقت الفراغ والبطالة والتقاعد وغيرها ، وزاد الإهتمام بشؤون الموظفين والعاملين من حيث الإختيار والتوزيع والكفاية الإنتاجية ، وبعد ذلك تنوعت النشاطات والإهتمامات في مجال التوجيه المهني (زهران ، 2005 : 49).

ب. حركة التوجيه التربوي

إكتشف العاملون في مجالات التوجيه والإرشاد الهوة الفاصلة بين مايتعلمه الطلبة في مدارسهم ومايواجهونه في حياتهم العملية بعد ذلك . مما أكد ذلك على ضرورة سد هذه الثغرة ، فأصبح ينظر إلى التربية على أنها نوع من التوجيه ، فالتوجيه التربوي هو توجيه من أجل الحياة ، ودخل الإرشاد النفسي إلى المدارس من أوسع الأبواب ، وأصبح ينظر إلى الإرشاد النفسي على أنه سلسلة من النشاطات والأفعال تسري خلال كل النشاطات التربوية .

ج. حركة القياس النفسي Psychological Measurement

يقصد بالقياس النفسي قياس القدرات الشخصية في أبعاد أحادية كالذكاء أو الشخصية أو سمات شخصية كالعصاب والإنطوائية والإنبساطية والإتزان الإنفعالي والميول والإتجاهات ، ولحركة القياس النفسي بدايات متعددة في أوربا وأميركا :

أولاً. كانت البدايات المبكرة النظرية والعملية (1879–1915) المختبرات الجامعية وروادها كثيرون منهم (فونت 1879) في ليبزج ، و (ماكين كاتل 1890) ، والبدايات العملية على يد (سيمون بنيه 1905) في باريس ومحاولته الأولى لقياس ذكاء طلبة المدارس تمهيداً لتصنيفهم تبعاً لذكائهم ، ثم تطور هذا الإتجاه العملي إلى إستخدام الإختبارات العقلية في الجيش الأميركي خلال الحرب العالمية الأولى لتصنيف المجندين وتحديد قدراتهم العقلية والتعرف على العصابيين الذين لا يصلحون للخدمة العسكرية .

ثانياً. الإستخدامات العملية الواسعة مابين عام 1915 وحتى 1945 وإزدهار حركة القياس العقلي والنفسي وظهور الإختبارات المقننة الفردية والجمعية وإختبارات التحصيل والميول والإستعدادات العامة والخاصة والتقييم الناقد لهذه الإختبارات وتطويرها للإستخدامات العملية المباشرة في الجيش والمدارس والمصانع .

ثالثاً. ظهور بطاريات الإختبارات للتقويم والمسح الشاملة مابين عام (1945- 1960) والإعتماد الواسع على الإختبارات في التصنيف التربوي والمهني وشمول جانب أوسع من القدرات العقلية والشخصية .

رابعاً. ظهور التطورات النظرية من عام 1960 وحتى الوقت الراهن ، فقد ظهرت نظريات القياس النفسي والتربوي والمستندة على الأسس الفلسفية والعلمية والتجريبية في تحسين الإختبارات وزيادة حساسيتها لقياس الفروق الفردية .

وبذلك ساعدت حركة القياس وتياراته العملية التعليمية إلى حد كبير في تيسير فهم الفروق الفردية للطلبة وتيسر على المدرسين تقويم المناهج التربوية ، ومن ناحية أخرى فقد قدمت حركة القياس توضيفات مهمة للعلاج والإرشاد النفسي في عملية التشخيص والتقويم النفسي (الإمام وعبد الرحمن ، 1991 : 15-16) ، أي أن حركة القياس النفسي ساهمت في نمو وتطور الإرشاد النفسي من خلال جمع المعلومات الدقيقة وإستخدامها بموضوعية لوصف وتقييم الأفراد (زهران ، 1985).

د . حركة الصحة النفسية Mental Health

يرجع الإهتمام بالصحة النفسية إلى العصور الوسطى ، التي شهدت بعض أشكال الرعاية النفسية هنا وهناك ، إذ أدرك الأطباء المسلمون أهمية الرعاية الصحية والنفسية والإجتماعية للإنسان ، فكانت دور الرعاية النفسية منتشرة في كل من دمشق وبغداد والأندلس ، وكان العلاج بالعمل والموسيقى من الأساليب الشائعة في هذه الأماكن التي كانت تطلق عليها تسمية (البيمارستانات) والتي كانت تهدف إلى إعادة الإستقرار والتوازن للمرضى نفسياً ، حيث أن الفكر الطبي العربي أو الإسلامي لم يعرف مسألة الفصل بين النفس والجسد (حجازي ،2000) ، ويبدو أن الطبيب الفرنسي ، وأبو الطب النفسي الحديث (بينل pinel 1745 – 1820) قد كان مطلعاً ومتأثراً بأساليب الرعاية والعلاج التي كانت متبعة في العالم الإسلامي ، ففي إحدى كتاباته (1819) أشار إلى أنه في عام (1425) تم إنشاء مصحة للأمراض العقلية في مدينة " ساراجوسا " الإسبانية تحت شعار الصحة للجميع ، وكانت هذه المصحة تتبع أسلوب العلاج بواسطة العمل الزراعي ، وربما كان ذلك واحداً من العوامل التي جعلته يطالب عام (1798) ، أي بعد الثورة الفرنسية بتحرير المرضى نفسياً من قيودهم ، وألف كتاباً عن كيفية معاملتهم ، حيث كان المرضى النفسيين في أوربا يتعرضون

لمعاملة قاسية لإعتقاد الأطباء بأن ربط المرضى بالسلاسل وتعريضهم للضرب ، يشكل أسلوباً علاجياً فاعلاً يساعدهم على التخلص من أمراضهم .

لقد كانت هنالك محاولات متفرقة وفي أماكن مختلفة (بلجيكا ، ألمانيا ، فرنسا ..) أظهرت بوادرالإهتمام والرعاية بالصحة النفسية للمضطربين عقلياً ، وتبدلت النظرة إليهم وأصبحوا يحظون بمعاملة إنسانية على نحوٍ أفضل .

في عام 1896 أنشأ (ويتمر Witmer) عيادةً في (بنسلفانيا / فرنسا) ، وفي عام 1909 أُنشئت عيادة لضعاف العقول في (بوسطن / الولايات المتحدة) ، وفي العام نفسه تأسست :

(اللجنة القومية للصحة النفسية) National Committee for Mental Health

وذلك بعد سنة واحدة من نشر (1908 Clifford Bears) كتاباً يحمل عنواناً :

(عقل وجد نفسه A mind that found it self) . تبلورت أعمال الصحة النفسية على يد (بيرز) بعدما أصيب بإنهيار عصبي أدخله مصحاً عقلياً ، وعندما شفي نشر كتابه ، دعا فيه إلى معاملة المرضى النفسيين معاملة كريمة ، وتحسين ظروفهم في المستشفيات ، وإنشاء عيادات للصحة العقلية يذهب إليها الأفراد عندما يتعرضون للضغوط النفسية والإضطرابات منذ البداية ، يتلقون فيها العلاج والرعاية ، دون إنتظار أن تسوء حالتهم ويصعب علاجهم ، كما دعا (بيرز) إلى التخلص من الظروف التي تؤدي إلى الإصابة بالإضطرابات النفسية والعقلية ، وإيجاد الظروف التي تعمل على تحسين تكيفهم وفاعليتهم ، وبهذا أمدت هذه الحركة الإرشاد النفسي بأساس وقائي يهتم بالعمل على وقاية الأفراد من الإصابة بالإضطرابات النفسية والعقلية (مشاقبة ، 2008: 31) .

في عام 1948تأسست منظمة الصحة العالمية World Health Organization ، والتي يرمز لها إختصاراً بـ (WHO) ، مركزها في لندن .

في نهاية القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حدث تطور كبير قلب المفاهيم الطبيه – الفيزيائية التي كانت سائدة حول المرض النفسي وأسبابه ، من خلال أفكار مدرسة التحليل النفسي التي أسسها الطبيب العصبي والنفسي النمساوي سيجموند فرويد (1856 – 1939) ، ولعلّ تأثير التحليل النفسي في حركة الصحة النفسية هو المَعلَم الأبرز في تاريخ هذه الحركة ، إذ أن مدرسة التحليل النفسي أكدت أهمية العمليات النفسية في نشوء الإضطراب النفسي . وفي النصف الثاني من القرن العشرين بدأت تبرز إتجاهات أخرى كالإتجاهات السلوكية التي تؤكد على دور عمليات التعلم في نشوء وتطور الأمراض

والإضطرابات النفسية ، وكذلك الإتجاهات الدينامية والإنسانية والمعرفية .. (رضوان ، 2009 : 19-22)

د. حركة دراسة الطفل والإهتمام بالنمو

كان لتطورات علم النفس بشكل عام وللتحليل النفسي والإرشاد النفسي تأكيدات ونتائج تدور أغلبها حول أهمية الطفولة في تكوين الشخصية السوية وفي التوافق والتكيف العام لحياة الفرد ، فظهر إهتمام متخصص بدراسة الطفل وبالنمو في جامعات متميزة في مقدمتها جامعة (كلارك) في الولايات المتحدة ، وبرز من رواد هذا المجال (ستانلي هول) رئيس الجامعة ، الذي ركز مع العديد من الباحثين على فهم خصائص الطفل الجسمية والعقلية والنفسية وفهم النمو وقوانينه وعوامله الموروثة والمكتسبة ودور البيئة والتنشئة الأسرية والإجتماعية في نمو شخصية الطفل ، وخلال العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين أمتدت حركة دراسة الطفل إلى العديد من الجامعات الأميركية فضلاً عما كان يجري في أوربا من دراسات متخصصة ، من أبرزها جهود (بياجيه) في معهد (جان جاك روسو) وآخرين من فرنسا وإنكلترا وألمانيا (الإمام وعبد الرحمن ، 1991 : 17) ، وبذلك فقد وفرت حركة دراسة الطفل الأساس النمائي للإرشاد النفسي .

هـ. تأثير الحربين العالميتين في تطور الإرشاد النفسي

في الحرب العالمية الأولى ظهرت مفاهيم جديدة في الإختيار والتوزيع والقيادة ، وظهرت إضطرابات نفسية مثل عصاب الحرب ، وظهرت طرق جديدة مثل الإرشاد والعلاج النفسي الجماعي .. والحرب العالمية الثانية أثرت في تطور التوجيه والإرشاد إذ بينت الأهمية الكبرى للإختبارات والمقاييس النفسية في إختيار وتوزيع الأفراد ، ووضع الفرد المناسب في المكان المناسب حسب قدراته وإستعداداته وميوله (زهران ، 2005 : 52) .

<u>تطور مفاهيم الإرشاد والتوجيه</u>

إن مفاهيم الإرشاد والتوجيه تطورت بإتجاهات توازي ماطرأ ويطرأ في مجال التوجيه المهني والتربوي والقياس والعلاج النفسي ، ولم يظهر بوصفه علماً واضح المعالم إلا في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات وظهور (علم النفس الإرشادي Counseling Psychology) ، وظهور مهنة الإرشاد كعلم وفن له مفاهيمه وأسسه وميادينه التطبيقية ، وقد تطور الإرشاد خلال المراحل التالية :

1. مرحلة الخمسينات : وهي مرحلة مولد مهنة الإرشاد بمزيج مابين التوجيه المهني والقياس النفسي وعلم النفس العلاجي ، إنطلاقاً من مفهوم أساس هو مساعدة الفرد على التكيف والتوافق مع نفسه ومع الحياة ، أي أن التركيز ليس على المشكلات المهنية أو الشخصية أو الزواجية فحسب بل بالدرجة الأولى على فهم الفرد نفسه ولما يحيط به والعيش بإستثمار أمثل لطاقاته وقدراته ، وهذا يتطلب إستخدام أدوات كالإختبارات والمقاييس النفسية للكشف عن قدراته الحقيقية من جهة وتزويده بمعلومات مهنية تساعده على إتخاذ القرارات المناسبة في حياته .

تهتم هذه المهنة بالحالات السوية ويكون الأفراد الأسوياء هم موضوع هذه المهنة وليس الحالات المرضية كما هو في علم النفس العلاجي ، أي أن الإرشاد والتوجيه هو خدمة وقائية إنمائية تعنى بالصحة النفسية وتنمية الفرد للعيش بفعالية وإيجابية ، وتعتمد هذه المهنة على معطيات وتطورات مجالات مختلفة في علم النفس مثل موضوعات الشخصية ونظرياتها والتعلم والدافعية وعلم النفس الصناعي والإجتماعي والتربوي ويستخدم أساليب وأدوات يستخدمها المختصون النفسيون والعلاجيون وعلماء النفس التجريبيين والباحثون الإجتماعيون والتربويون .

2. مرحلة الستينات : في هذه المرحلة شهد الإرشاد إنحساراً في تطور حركة الإرشاد في الولايات المتحدة ، وفي ضوء دراسة ذلك حددت أهداف الإرشاد بالإهتمام بالمشكلات المهنية أو التربوية للأفراد الأسوياء وبإعتماد الإختبارات والمقاييس النفسية كإختبارات الذكاء والإستعدادات والميول ، والإهتمام بواقع الفرد وتكيفه الآني وليس بالتوسع في فهم صراعات وتحليل الدوافع وجوانب السلوك المتداخلة كما يفعل المختصون النفسيون في علم النفس العلاجي وأقترحت بدائل لمرحلة جديدة تتلخص بأربعة توجهات هي :

أ. المزيد من الدمج بين علم النفس الإرشادي وعلم النفس العلاجي .

ب. تطوير برامج متعددة ومتميزة للإرشاد في مجالات مختلفة والتميز بمنهجية خاصة .

ج. التركيز على العملية التعليمية وإعداد مختصين في شؤون الطلاب وبخاصة في مرحلة الجامعة .

د. إعتماد مستوى درجة ماجستير ملائمة لإعداد المرشد لقيامه بعمله كمختص .

3. مرحلة السبعينات والثمانينات : إستمرت محاولات تحديد المفاهيم الأكثر تطابقاً للتصورات النظرية التي إستمرت في النمو والتعدد وكان من أبرز ثمارها ترسيخ الدور الإنمائي للإرشاد والتوجيه (Developmental) وأوضح (إيفي IVEY 1967)

ثلاثة أدوار ينبغي القيام بها هي :

الأول : إصلاحي أو تأهيلي (Tehabilitative Remedlalot) .

الثاني : وقائي (Preventive) .

الثالث : تربوي أو إنمائي (Educative or Developmental) .

ويرى (إيفي IVEY 1967) أن الدور الثالث (التربوي أو الإنمائي) ينبغي أن يبقى هو الدور الأساس إذ أن دور المرشد هو تعليمي ، يعلم فيه الأفراد أسلوب الحياة . وقدم (إيفي IVEY) إنموذجاً سيكوتربوياً للإرشاد يتكون من عدة برامج مثل التدريب على مهارات المساعدة الفعالة وتدريب الوالدين وتخطيط الحياة ، والتدريب على مهارات الإصغاء والإستثارة وتعديل السلوك والممارسة الأسرية والزواج وغير ذلك من المهارات . وأصبح إتجاه الإرشاد يشمل ميادين مختلفة والعمل مع الطلبة والأسر والمنظمات وجماعة الأقران وشلل الأصدقاء في البيئة ، ولم يعد المرشد يستطيع أن يقبع في مكتبه منتظراً مجيء الآخرين له ليقدم خدماته .

إن مرحلة الثمانينات إتسمت بتطور مهم ، وهو الإنتقال بالإرشاد من الإهتمام بالنمو الشخصي والفردي إلى النمو الإجتماعي الإنساني والإهتمام بالبيئات الثقافية والإجتماعية للفرد والجماعة وهذا ما إتضح في تعريف رابطة علم النفس الأميركية لعلم النفس الإرشادي بعد دراسة ومراجعة إستمرت ثلاث سنوات في التخصصات الأربع الأساسية لعلم النفس الإرشادي وهي : الإكلينيكي والصناعي والتنظيمي والمدرسي ، حيث حددت الخدمات الإرشادية بالأهداف والوظائف التالية :

إن الهدف الأساس للإرشاد هو تيسير سلوك الإنسان بطريقة فعالة خلال عمليات نمو الفرد ولجميع مراحل حياته وإكتساب أو تغيير المهارات الشخصية والإجتماعية وتحسين تكيف الفرد وإستجابته لمطالب الحياة المتطورة والمتغيرة ، وتعزيز مهارات التعامل بنجاح مع البيئة وإكتساب الكفاءة على إتخاذ القرار وحل المشكلات المرتبطة بالتعليم والتخصص المهني والحياة الأسرية والزوجية لجميع مراحل الحياة بما في ذلك التكيف للشيخوخة (الإمام وعبد الرحمن ، 1991 : 18-21) .